قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الاسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

أيديولوجية الخطاب الفكري في سيرة ليست لهولاكو للروائي احمد جار الله ياسين

The Ideology of Intellectual Discourse in 'A Biography that is not Hulagu's by the Novelist Ahmed Jarallah Yassin.

م.م. نور ماجد إبراهيم/ جامعة الأنبار، رئاسة الجامعة، قسم شؤون الأقسام الداخلية *

Abstract

This study explores the ideological dimensions and intellectual discourse of Ahmed Jarallah Yassin's novel, "A Biography That Is Not Hulagu's," focusing on the relationship between narrative and thought in the construction of meaning and the reproduction of individual and collective consciousness. It highlights the historical dimension and the evocation of symbolic figures such as Hulagu, which contribute to the development of an intellectual vision through various narrative techniques, including polyphony, temporal shifts, symbolism, and language. Furthermore, it examines the dialectic of self and other, revealing social and cultural conflicts and thus transforming the novel into an intellectual and aesthetic practice that reinterprets reality and shapes critical consciousness.

Keywords:
Literary ideology, intellectual discourse, narrative fiction, contemporary Arabic novel, autobiography, dialectic of self and other, symbolism, historical dimension, collective consciousness, social and political critique

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:١٨/١/٢٠٢٦م

المراجعة:٢٣/١/٢٠٢٦م

القبول: ١/٢/٢٠٢٦م

الكلمات المفتاحية:

الإيديولوجيا الأدبية، الخطاب الفكري، السرد القصصي، الرواية العربية المعاصرة، السيرة الذاتية، جدلية الذات والآخر، الرمزية، البُعد التاريخي، الوعي الجمعي، النقد الاجتماعي والسياسي

ملخص

تستكشف هذه الدراسة الأبعاد الإيديولوجية والخطاب الفكري لرواية أحمد جار الله ياسين، "سيرة ليست سيرة هولاكو"، مع التركيز على العلاقة بين السرد والفكر في بناء المعنى وإعادة إنتاج الوعي الفردي والجماعي. وتُبرز البُعد التاريخي واستحضار شخصيات رمزية كشخصية هولاكو، مما يُسهم في تطوير رؤية فكرية من خلال تقنيات سردية متنوعة، تشمل التعدد الصوتي، والتحولات الزمنية، والرمزية، واللغة. كما تتناول جدلية الذات والآخر، كاشفةً عن صراعات اجتماعية وثقافية، ومحوّلةً الرواية إلى ممارسة فكرية وجمالية تُعيد تفسير الواقع وتُشكّل وعيًا نقديًا.

* Corresponding author at: **Asst. lecturer. Nour Majid Ibrahim Hammad/ University of Anbar / University Presidency / Department of Internal Affairs**

١. المقدمة

تُشكّل النصوص الأدبية فضاءً فريدًا للتفاعل بين السرد والفكر، حيث يتجاوز الكتابة مجرد نقل الأحداث أو الحقائق لتصبح أداةً لإنتاج المعنى وبناء رؤية للعالم والمجتمع والذات فمن هذا المنظور، يكتسب مفهوم الأيديولوجيا أهميةً خاصةً في دراسة الأدب، إذ يكشف كيف تتشكل المواقف الفكرية والثقافية داخل النص من خلال الشخصيات والحبكة والزمان والمكان والرمزية واللغة، فضلًا عن استحضار التاريخ واستخدامه لتفسير الحاضر. وتهدف هذه الدراسة إلى استكشاف تجليات الأيديولوجيا في النصوص الأدبية، وتحليل العلاقة بين السرد والفكر، ودراسة كيفية إسهام الخطاب السردي في تشكيل وعي القارئ وإعادة إنتاج الوعي الجمعي كما تسعى هذه الدراسة إلى فهم دور البنية السردية وتقنيات سرد القصص في تعزيز المنظورات الفكرية فضلًا عن أهمية الرموز واللغة في إضفاء بُعد أيديولوجي وفكري على النص، وبيان كيفية تجسيد جدلية الذات والآخر في السياق السردي. وفي هذا الإطار، تتناول الدراسة البُعد التاريخي للنص واستحضار الشخصيات الرمزية، محللةً إسقاطات الماضي على الحاضر، ومستكشفةً النقد الاجتماعي والسياسي الذي يكشفه النص من خلال السرد وتركز على التقنيات السردية التي تُهيكل الخطاب الفكري وتُسلط الضوء على المنظورات الأيديولوجية وبذلك، تُقدم الدراسة فهمًا شاملًا لكيفية عمل الأدب كأداة للتفكير النقدي، وإعادة إنتاج الوعي، وبناء رؤية فكرية متعددة الأبعاد ضمن النص الأدبي.

١.١.أهمية الموضوع

تُعدّ دراسة الأيديولوجيا في النصوص الأدبية ذات أهمية بالغة، إذ تكشف عن الصلة بين السرد والفكر، وتُسلّط الضوء على كيفية إسهام الأدب في إعادة إنتاج الوعي الفردي والجماعي فضلاً عن فهم التوترات الاجتماعية والسياسية والثقافية وقد تم اختيار هذا الموضوع لقدرته على تحليل الخطاب الأدبي بوصفه فضاءً معقداً تتقاطع فيه التجربة الإنسانية مع الرؤية الفكرية كما يُتيح لنا فهم دور الشخصيات الرمزية، واستحضار التاريخ، واستخدام اللغة والرموز في بناء الخطاب الفكري، مما يُقدّم رؤية شاملة للصلة بين النص والأيديولوجيا.

٢.١.مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث حول كيفية تجلّي الأيديولوجيا في النصوص الأدبية، ودور البنية السردية واللغة والرموز في بناء الرؤية الفكرية وكيف يُسهم استحضار التاريخ والشخصيات الرمزية في إعادة إنتاج الوعي الجماعي ونقد الواقع السياسي والاجتماعي. يستكشف هذا البحث أيضًا كيف تتداخل جدلية الذات والآخر مع المحتوى الفكري للنص.

٣.١.فرضيات البحث

١. تُشكّل النصوص الأدبية فضاءً لتجسيد الرؤى الأيديولوجية من خلال بناء الشخصيات والأحداث والرموز.

٢. يُسهم البناء السردي وتقنيات السرد في توجيه فهم القارئ وإعادة إنتاج الخطاب الفكري.

٣. يسمح استحضار التاريخ واستخدام الرموز للنص بنقد الواقع وإسقاط الماضي على الحاضر.

٤. تؤثر جدلية الذات والآخر في النص على تكوين البُعد الفكري وتعكس التوترات الاجتماعية والثقافية.

١.٤.منهجية البحث

نستخدم في هذا البحث عدة منهجيات متكاملة لتقديم تحليل شامل للنص الأدبي:

تحليل النص: دراسة بنية النص وعناصره السردية والموضوعية لتحديد كيفية تجسيد الأيديولوجيا فيه.

المنهج السيميائي: دراسة الرموز والإشارات الواردة في النص واستكشاف المعاني الكامنة في الأحداث والشخصيات.

المنهج النقدي الثقافي: ربط النص بسياقه الاجتماعي والتاريخي والثقافي لفهم دور الأدب في إعادة إنتاج الوعي ونقد الواقع.

١.٥.نطاق البحث

يركز هذا البحث على النص الأدبي بوصفه فضاءً لإعادة إنتاج الخطاب الفكري ويتناول البُعد التاريخي، واستحضار الشخصيات الرمزية، ودور اللغة والرمز، والأساليب السردية والعلاقة بين الذات والآخر. ويركز هذا البحث على التحليل النقدي للنصوص التي تجسد هذا التفاعل بين السرد والفكر دون الخوض في دراسة شاملة لجميع الأجناس الأدبية.

وتتضمن بنية البحث مقدمةً تليها عدة أقسام:

١. البُعد التاريخي وإعادة إنتاج الوعي الجمعي، مع التركيز بشكل خاص على الشخصيات الرمزية وإسقاط الماضي على الحاضر.

٢. البنية السردية وتحولات الخطاب الفكري. تتناول هذه الدراسة أساليب السرد، وبناء الرؤية الأيديولوجية، وجدلية الذات والآخر وتأثير اللغة والرمزية في تعزيز البُعد الفكري.

٢.المبحث الأول: الإطار النظري لمفهوم الأيديولوجيا والخطاب الفكري

يُعدّ فهم الأيديولوجيا والخطاب الفكري خطوةً أساسيةً في دراسة النصوص الأدبية باعتبارها فضاءاتٍ لإنتاج المعنى وبناء الرؤى العالمية فالأيديولوجيا ليست مجرد أفكارٍ سطحيةٍ أو شعاراتٍ سياسية، بل هي منظومةٌ من المعتقدات والقيم التي تُشكّل فهم الإنسان للواقع وتُوجّه سلوكه ووعيه الاجتماعي. أما الخطاب الفكري، فيعكس إطارًا معرفيًا يُستخدم لتفسير الظواهر وتوجيه الانتباه نحو قضايا مُحدّدة ضمن سياقٍ ثقافي وسياسي مُعيّن.[١] ويتّسم الإطار النظري للأيديولوجيا بطبيعته متعددة الأبعاد، فهو يشمل البنية الاجتماعية التي تتشكّل فيها المعتقدات، والعلاقات بين الفرد والجماعة، واللغة التي تُعبّر عن هذه المعتقدات، والرموز التي تُضفي عليها دلالاتٍ أعمق. كما يُراعي هذا الإطار العلاقة بين الفكر والسلطة، إذ تُسهم الأيديولوجيا في إعادة إنتاج البنية الاجتماعية من خلال تقديم مواقف مُعيّنة على أنها حقائق طبيعية أو

(١) أبو هيف، عبد الله. النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد. اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠، ص ١١١

مُسلّم بها وبذلك، تُصبح النصوص الأدبية وسيلةً لاستكشاف هذه العملية وتحليل أثرها على الوعي الجمعي. وفي هذا السياق، يُعدّ الخطاب الفكري أداةً أساسيةً لفهم كيفية تجسيد الأفكار في النصوص الأدبية فهو يشمل التأملات النظرية التي يدمجها الكاتب في السرد، والخيارات المفاهيمية التي توجه القارئ، والآليات التي يستخدمها البناء السردي لتأسيس موقفٍ معين أو تقديم رؤية نقدية للواقع كما يُتيح لنا الخطاب الفكري تتبع تطور الفكر داخل المجتمع، ودراسة كيفية تأثير المعتقدات والأيديولوجيات في تشكيل السلوكيات الجماعية والفردية. لذا، فإن دراسة الأيديولوجيا والخطاب الفكري ضرورية لفهم الأبعاد الفكرية والثقافية للنص الأدبي.[١] وبالتالي، يُتيح هذا الإطار النظري تحليلًا معمقًا لكيفية استخدام الأدب في صياغة رؤية فكرية وإعادة إنتاج المعنى كما يُوفر أساسًا لتتبع العلاقة بين السرد والفكر، وبين الواقع والتمثيل، وبين الذات والآخر وهكذا، يتحول النص الأدبي من مجرد سردٍ للأحداث إلى فضاءٍ مُعقد تتقاطع فيه الجماليات والإدراك، وبين الفكري والأيديولوجي.

١.٢.المطلب الأول: مفهوم الأيديولوجيا وعلاقتها بالخطاب الأدبي

يُعدّ مفهوم الأيديولوجيا من أكثر المفاهيم إثارةً للجدل في الفكر الفلسفي والنقدي فمنذ نشأته، ارتبط بتحولاتٍ جوهرية في التاريخ الفكري والسياسي الحديث حيث ظهر المصطلح لأول مرة في أواخر القرن الثامن عشر، على يد المفكر الفرنسي أنطوان ديستو دي تراسي، وأول ما ورد في كتابه (مذكرة حول ملكة التفكير) ثم كرس استعمالها فعليا في المعنى الذي وضعها لها في كتابه (مشروع عناصر الأيديولوجيا) الذي تعني استخدمه للإشارة إلى علم الأفكار – وهو علمٌ يدرس أصل الفكر البشري وطبيعته وقوانينه. كان هدفه إرساء معرفة عقلانية ونقدية، قائمة على تحليل العمليات العقلية، وخالية من الميتافيزيقا والتفسيرات الخارقة للطبيعة و ارتبط هذا الاستخدام بسياق الثورة الفرنسية ومحاولة إعادة بناء المجتمع على أسس عقلانية حديثة إلا أن المصطلح سرعان ما اكتسب دلالات جديدة عندما استخدمه نابليون بونابرت بازدراء لوصف خصومه الفكريين، الذين رآهم يعيشون في عالم من التجريدات النظرية المنفصلة عن الواقع السياسي وهكذا، تذبذب المفهوم بين معنى علمي محايد ومعنى نقدي سلبي، يوحي بالوهم أو الانفصال عن الواقع.[٢]

وفي القرن التاسع عشر، تطور مفهوم الأيديولوجيا بشكل أكبر ضمن الفلسفة الماركسية، حيث أعاد كارل ماركس وفريدريك إنجلز صياغته ضمن إطار نقدي وفي كتابه "الأيديولوجيا الألمانية" الصادر عام ١٨٤٦، حلل ماركس البنية الاجتماعية والاقتصادية، معتبرًا الأيديولوجيا وعيًا زائفًا يعكس مصالح الطبقة

(١) صلاح فضل. أساليب السرد في الرواية العربية. الهيئة المصرية لقصور الثقافة، ٢٠١٨، ص ٣٠

(٢) هشام قاضي، صباح قلامين، قراءة ابستيمولوجية لجدلية العلم والايديولوجيا في العلوم الإنسانية، الجزائر، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية،ص٣٧٥

الحاكمة ويخفي التناقضات الحقيقية للمجتمع الرأسمالي و جادل ماركس بأن الأيديولوجيا ليست مجرد مجموعة من الأفكار العابرة، بل هي إطار فكري شامل يُسهم في إعادة إنتاج علاقات الهيمنة من خلال تقديمها على أنها طبيعية أو مُقدّرة واعتقد ماركس أن الأفكار السائدة في كل عصر هي أفكار الطبقة الحاكمة، مما يعني أن الأيديولوجيا مرتبطة بالبنية التحتية المادية للمجتمع وتُستخدم كأداة لإضفاء الشرعية على علاقات الإنتاج القائمة.[١] وتطور هذا المفهوم لاحقًا ضمن الفكر الماركسي، حيث أضفى عليه أنطونيو غرامشي بُعدًا ثقافيًا بربطه بمفهوم الهيمنة الثقافية و جادل بأن الطبقة المهيمنة تفرض سيطرتها ليس فقط بالقوة، بل أيضًا ببناء منظومة من القيم والمعاني تدفع الخاضعين إلى قبول النظام القائم باعتباره طبيعيًا وعادلًا و في هذا السياق، تصبح الأيديولوجيا شبكة من التصورات والممارسات الثقافية التي تتغلغل في المؤسسات التعليمية والإعلامية والدينية، مساهمةً بذلك في تشكيل الوعي الاجتماعي''فغرامشي اعطى دورا مهما للفكر في اطار طرحه لموضوع الهيمنة بأشكالها المختلفة وخاصة الأيديولوجية منها''[٢]. ففي القرن العشرين، شهد هذا المفهوم تحولات إضافية ضمن النظرية النقدية فقد فهم لويس ألتوسير الأيديولوجيا على أنها منظومة تمثيلات كامنة في المؤسسات والأجهزة الأيديولوجية فالدولة، شأنها شأن المدرسة والأسرة والإعلام، لا تعمل على مستوى الأفكار فحسب، بل على مستوى الممارسات اليومية أيضًا، لتشكل الأفراد كذوات خاضعة للبنية الاجتماعية علاوة على ذلك، نظر مفكرو مدرسة فرانكفورت، مثل تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر[٣]، إلى الأيديولوجيا ضمن إطار نقد الثقافة الجماهيرية، معتبرينها تتجلى في الإنتاج الثقافي الذي يحوّل الوعي إلى سلعة، ويُنتج أنماطًا فكرية نمطية تُعزز التوافق مع النظام الرأسمالي. وفي الفكر البنيوي وما بعد البنيوي، أُعيد النظر في مفهوم الأيديولوجيا من خلال تحليل الخطاب والسلطة وقد أبرز ميشيل فوكو الصلة بين المعرفة والسلطة، مُجادلًا بأن الحقيقة، كما تُفهم، لا تنفصل عن شبكات السلطة، وأن الخطابات السائدة تُنتج أنماطًا معرفية تخدم ترتيبات اجتماعية مُحددة ورغم أن فوكو لم يستخدم مفهوم الأيديولوجيا بالمعنى الماركسي التقليدي، إلا أن تحليله كشف عن أبعاد جديدة لفهم تكوين الوعي في سياقات تاريخية مُعينة. ويتضح من هذا التطور التاريخي أن تعريف الأيديولوجيا في الفكر الفلسفي والنقدي لم يكن ثابتًا، بل خضع لتحولات عميقة و انطلقت الأيديولوجيا في البداية كمشروع علمي لدراسة الأفكار، ثم تحولت إلى أداة نقدية لكشف المغالطات الاجتماعية، وتوسعت لتشمل

(١) ناصر اليديم. النقد الأدبي الحديث: التنظير والممارسة. منشورات نقد عربية، ٢٠١٧، ص ٩٢

٥اسماعيل عمر حميد، المثقف في فكر أنطونيو غرامشي، الجامعة العراقية، مجلة الجامعة العراقية،العدد٦٦ج٣،ص٦٨٤ .

(٣) نادية هناوي. النقد الأدبي: رؤية نظرية واشتغال معرفي. منشورات أكاديمية، ٢٠٢٤.

تحليل المناهج الثقافية والمؤسسية والخطابية وقد أسهمت هذه المناهج مجتمعةً في الحفاظ على الصلة بين هذا المفهوم والعلاقة المعقدة بين الفكر والواقع، والمعرفة والسلطة، والضمير والمصلحة الاجتماعية وهكذا، أصبحت الأيديولوجيا مفهومًا محوريًا لفهم طبيعة الصراعات الفكرية والسياسية في المجتمعات الحديثة والمعاصرة.[١] يُعدّ مفهوم الأيديولوجيا عنصرًا أساسيًا في قراءة الرواية، فهو فضاءٌ تتلاقى فيه الرؤى الفكرية والبنى الاجتماعية والمفاهيم الرمزية للعالم فالرواية ليست مجرد سردٍ للأحداث والشخصيات، بل هي بنية دلالية تعكس منظومة قيم وتمثيلات خاصة بسياقها التاريخي والثقافي ولذا، تتجلى مظاهر الأيديولوجيا في الرواية من خلال اختيار المواضيع، وتطور الشخصيات، وتنظيم الزمان والمكان، وموقع الراوي، ووجهة النظر وكلها عناصر تُسهم في تشكيل رؤية عالمية معينة، سواء أكانت واعية أم ضمنية. وقد ساهم النقد الماركسي في إبراز الطبيعة الأيديولوجية للرواية بربطها بالبنى الاجتماعية والاقتصادية فقد اعتبر جورج لوكاش الرواية شكلًا أدبيًا يُعبّر عن وعي طبقي محدد، ويُجسّد التوتر بين الفرد والبنية الاجتماعية ورأى في الرواية انعكاسًا لتحولات المجتمع البرجوازي، وفي الشخصيات الروائية لا كيانات معزولة، بل تمثيلات لعلاقات اجتماعية أوسع بهذا المعنى، يصبح السرد مجالًا تتجلى فيه أيديولوجية العصر، سواءً من خلال الدفاع عن القيم السائدة أو من خلال نقدها وإبراز تناقضاتها. وقد تطور هذا المفهوم مع الدراسات البنيوية، التي ركزت على تحليل البنية الداخلية للنص فقد رأى رولان بارت أن الخطاب السردي ينقل رموزًا ثقافية وأيديولوجية تتجاوز سطح القصة، وأن النص ليس بمنأى عن القوة التي تُنتج معانيه كما أكد لوسيان غولدمان أن العمل الأدبي يُعبّر عن رؤية للعالم تشترك فيها فئة اجتماعية محددة، وأن هذه الرؤية تتجسد في البنية الدلالية للرواية. وبالتالي، يصبح التحليل السردي محاولةً لكشف البنية الأيديولوجية التي تُنظّمه.[٢] وتتجلى الأيديولوجيا أيضًا في الرواية من خلال تمثيل الهوية والاختلاف فالرواية تُحدد من هو في المركز ومن هو على الهامش، ومن له الحق في الكلام ومن يُكمّم و تتجلى هذه الأبعاد بوضوح في الروايات التي تتناول قضايا الاستعمار، أو النوع الاجتماعي، أو الصراع الطبقي، حيث يصبح السرد فضاءً لإعادة إنتاج السلطة أو مقاومتها فالخيارات اللغوية، وبناء الحبكة، وتحول التعاطف نحو شخصيات معينة دون غيرها، كلها آليات تُسهم في تشكيل موقف أيديولوجي محدد. أما العلاقة بين السلطة والخطاب في النصوص الأدبية، فهي تقوم على فكرة أن الخطاب ليس مجرد أداة للتعبير، بل ممارسة تُنتج واقعًا معينًا وتعيد تشكيله

(١) عنود عبد الجبار كريدي العنزي. السرد في الأدب العربي الحديث. جامعة الإسكندرية، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات ٢٠٢٤، ص ٢٠١ .

(٢) كاظم خلف العلي. دليل النظرية الأدبية والنقد الأدبي. جامعة البصرة، دار قناديل للنشر والتوزيع ٢٠٢٥، ص٦٣

وقد أكد ميشيل فوكو أن الخطاب مرتبط بأنظمة معرفية تُحدد ما يُمكن قوله وما يجب استبعاده، وأن السلطة لا تعمل فقط من خلال القمع المباشر، بل أيضًا من خلال إنتاج أطر معرفية تُحدد بنى الفكر والتعبير وبالتالي، يُمكن فهم الرواية كفضاء تتقاطع فيه خطابات متعددة، تتنافس لفرض رؤيتها للعالم.(١) فعندما يُمثل السرد الروائي السلطة مجددًا، سواء أكانت في صورة الدولة، أو مؤسسة، أو الشخصية الأبوية، أو المركز الثقافي، فإنه لا يعكسها فحسب، بل يُعيد صياغتها ضمن بنية رمزية قادرة على كشف آلياتها أو إعادة إنتاجها وقد يتخذ النص موقفًا نقديًا يسعى إلى تفكيك الخطاب السائد من خلال السخرية، أو التعدد الصوتي، أو كسر التسلسل الزمني الخطي، مما يسمح بالتساؤل حول الأيديولوجية السائدة ويفتح آفاقًا لمفاهيم بديلة وبهذه الطريقة، تصبح الرواية ساحة صراع رمزي بين خطابات متعارضة، حيث تتشابك الجماليات مع السياسة، وحيث يتحول السرد إلى ممارسة فكرية تُعيد تشكيل الوعي الجمعي.

٢.٢.المطلب الثاني: الخطاب الفكري في السيرة الروائية

إن السيرة الذاتية نوع أدبي متجذر في سعي الإنسان لفهم ذاته وتوثيق تجاربه الحياتية وهي شكل من أشكال الكتابة يُعيد بناء حياة الفرد ويُحوّلها إلى نص، مانحًا إياها شكلًا ومعنى وتماسكًا سرديًا وبصفتها نوعًا أدبيًا، لا تقتصر السيرة الذاتية على مجرد تسجيل الأحداث، بل تمتد لتشمل بناء صورة ذاتية ضمن سياق اجتماعي ثقافي محدد فهي بذلك تمثل نقطة التقاء بين التجربة الشخصية والذاكرة الجماعية، بين الواقع والخيال، بين التوثيق والتفسير.(٢) في الفكر الغربي الحديث، تبلور مفهوم السيرة الذاتية كشكل من أشكال الكتابة قائم على تطابق اسم المؤلف مع اسم الراوي والشخصية الرئيسية وقد أبرز فيليب ليجون هذه النقطة عندما صاغ مفهوم "الميثاق السيري" عام ١٩٧٥، مؤكدًا أن هذا التطابق يُشكل اتفاقًا ضمنيًا بين المؤلف والقارئ، قائمًا على الالتزام بسرد واقعي للأحداث مع ذلك، لا يُلغي هذا الالتزام البُعد الجمالي للنص، إذ تبقى السيرة الذاتية عملاً أدبياً خاضعاً للاختيارات الفنية في تنظيم الزمن، وبناء الحبكة، واختيار اللغة.

وعلى مرّ التاريخ، اتخذت السيرة الذاتية أشكالاً عديدة، من الاعترافات الدينية إلى المذكرات واليوميات، وصولاً إلى السيرة الذاتية الحديثة، التي تُعدّ انعكاساً للوعي الفردي. ومع نشر كتاب "الاعترافات" لجان جاك روسو عام ١٧٨٢، ترسّخ تقدير الذات، مُشكّلاً خطوةً هامةً في ترسيخ مفهوم السيرة الذاتية بوصفها كشفاً صادقاً عن التجربة الداخلية للفرد ويُعلن روسو في هذا الكتاب رغبته في تقديم نفسه على حقيقته، بكلّ تناقضاته، مُسهماً بذلك

(١) غادة حسن زكريا عشبة. تقنيات السرد الروائي وخلق الأيديولوجيا. جامعة الازهر، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، مجلة كلية اللغة العربية، ٢٠٢١، ص ٤٥

(٢) سعيد يقطين. السرد في الرواية العربية. المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢، ص ١٨

في تحديث هذا النوع الأدبي.[١] في السياق العربي، تكمن جذور السيرة الذاتية في أشكال تقليدية كالمعاجم البيوغرافية، ومجموعات السير، والروايات الشعبية مع ذلك، تبلورت السيرة الذاتية الحديثة مع تطور مفهوم الفرد وتنامي الوعي بتاريخه الشخصي وظهرت أعمالٌ أكدت على حضور الكاتب في صميم السرد، واعتباره أداةً لإعادة تفسير المجتمع من خلال التجربة الفردية وهكذا، أصبحت السيرة الذاتية مجالًا تتقاطع فيه الذاتية والموضوعية، عاكسةً تحولات المجتمع وتوتراته.

وعلى الصعيد النظري، تناول جورج ماي، في كتابه "السيرة الذاتية" الصادر عام ١٩٧٩، الحدود الإشكالية بين السيرة الذاتية والخيال، موضحًا أن السيرة الذاتية ليست نقلًا حرفيًا للواقع، بل هي إعادة بناء من خلال الذاكرة واللغة وبالمثل، أكد بول ريكور، في دراساته حول السرد والهوية، أن الهوية الشخصية تُبنى من خلال السرد، وأن الأفراد يفهمون أنفسهم بتنظيم حياتهم في قصة ذات مغزى، مما يضفي على السيرة الذاتية بُعدًا فلسفيًا يتجاوز مجرد التوثيق، إذن ''إن السيرة الذاتية حين استوت شكلا ادبيا مستقلا،اخذت عن السيرة وعن سليلتها الرواية الترتيب الزمني في العرض ''[٢] . وتقوم السيرة كنوع أدبي على جدلية الحقيقة والزيف و تستند السيرة الذاتية إلى إطار مرجعي واقعي، لكنها تخضع لاختيار الأحداث وترتيبها وتفسيرها لذا، فهي تعبّر عن رؤية الكاتب لنفسه وللعالم المحيط به، وتكشف عن البنية الثقافية التي ينتمي إليها. ويعكس اختيار ما يُروى وما يُترك طي الكتمان قيمًا ومعايير اجتماعية محددة ولذلك، فإن دراسة السيرة الذاتية لا تنفصل عن تحليل السياق الذي نشأت فيه. علاوة على ذلك، أتاح تطور الدراسات السردية فهمًا أكثر دقة لبنية السيرة الذاتية، لا سيما فيما يتعلق بتعدد الأصوات، وتداخل الفترات الزمنية، واستخدام الاسترجاع والتنبؤ وهذا ما يجعلها أحيانًا أقرب إلى الرواية دون المساس بخصوصيتها المرجعية وهكذا، تُعرَّف السيرة الذاتية بأنها شكل من أشكال الكتابة الذاتية التي تسعى إلى تأكيد الوجود الفردي في مواجهة النسيان، وإلى بناء معنى للحياة من خلال اللغة فإنها، بطبيعتها، فعل تأمل وتساؤل حول الذاكرة، وتجسيد للعلاقة بين الفرد ونفسه والآخرين والتاريخ.[٣] ويُعدّ التفاعل بين العناصر السردية والفكرية في بناء النص من أبرز سمات الكتابة الحديثة فلم يعد السرد مجرد سرد للأحداث، ولم يعد الفكر خطابًا مجردًا منفصلًا عن أي بنية جمالية ولقد أصبح النص فضاءً يتفاعل فيه السرد مع الرؤية النظرية، ويتشكل فيه المعنى من خلال جدلية بين التجربة المعيشة والتأمل الفكري ويمنح السرد الفكرة تجسيدًا حسيًا من خلال الشخصيات والأحداث،

(١) سعيد يقطين. الرواية والتراث السردي. المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢، ص ٦٣.

(٢) ١٢جورج ماي، السيرة الذاتية، تعريب ممد القاضي، عبدالله صولة،دار رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧، ص١٠٢ .

(٣) سعيد يقطين. قال الراوي: بنية الخطاب السردي في السيرة الشعبية. منشورات عربية، ١٩٩٧، ص ٤٠.

بينما يضفي عليها الفكر عمقًا دلاليًا يتجاوز حدود التمثيل المباشر. وقد أبرزت نظرية الرواية حقيقة أن النص الأدبي يحمل في بنيته رؤية للعالم، وأن هذه الرؤية لا تُعرض في صورة قضايا مباشرة، بل تتجسد في تنظيم الأحداث، وموقع الراوي، وتوزيع الأصوات داخل العمل وأكد ميخائيل باختين على مفهوم الحوارية، موضحًا أن الرواية فضاءٌ تتعدد فيه الأصوات وتتقاطع فيه وجهات النظر، مما يسمح بتجاور السرد والخطاب الفكري ضمن البنية نفسها فالشخصيات لا تؤدي أدوارًا درامية فحسب، بل تعبر أيضًا عن مواقف فكرية تتفاعل وتتضارب داخل النص. علاوة على ذلك، اعتبر ميلان كونديرا، في دراساته عن فن الرواية، الرواية الحديثة شكلًا من أشكال التأمل في الوجود فهي لا تكتفي بسرد الأحداث، بل تتساءل عن القيم والمسلمات وتستكشف الاحتمالات و يُنقل المعنى من خلال البناء الفني؛ وهكذا، يصبح السرد أداةً للتأمل، بينما يتحول الفكر إلى عنصر بنّاء يتخلل نسيج السرد دون أن يفقد طابعه الجمالي.(١)

ويتجلى هذا التفاعل أيضًا في الأعمال التي تمزج بين التأمل الفلسفي والتجربة الإنسانية، حيث يتوقف السرد أحيانًا ليسمح بالتأمل في الزمن والهوية والحرية ومع ذلك، لا تظهر هذه التأملات كتصريحات مباشرة، بل من سياق القصة نفسه حيث تصبح الفكرة حينها امتدادًا للحظة السردية، لا انفصالًا عنها، ما يحقق توازنًا بين الخيال والتأمل في النص. أما دور الرمز والقصة في بناء الخطاب الفكري، فهو مرتبط بقدرة النص على تجاوز المباشر والوصول إلى معنى أعمق ويسمح الرمز بتكثيف المعنى وتحويل حدث جزئي إلى إشارة إلى واقع أوسع. كما يسمح بدمج موقف فكري في صورة أو شخصية أو مكان متعدد الأبعاد وقد أكد بول ريكور أن الرمز يفتح أفقًا للتأويل، ولا يقتصر على معنى واحد، بل يدعو القارئ للمشاركة في بنائه وهكذا، يصبح الرمز أداة لتجسيد الفكر في شكل فني مفتوح للتأويل. أما التاريخ، فيمثل مخزون الذاكرة الجماعية التي يقوم عليها الخطاب الفكري، إذ يستحضر النص لحظات أو شخصيات أو أحداثًا تاريخية يُعاد تفسيرها في ضوء القضايا المعاصرة . ففي النص يتحول التاريخ إلى مادة رمزية تعكس صراعات الهوية والسلطة والمعنى ويستطيع الكاتب استخدام الماضي لإضاءة الحاضر، أو التساؤل عنه، أو إعادة تفسيره من منظور نقدي وهكذا يصبح التاريخ أداة لبناء خطاب فكري يتجاوز مجرد التوثيق، داعيًا إيانا إلى إعادة النظر في الحقائق الراسخة أما الرمزية، بدورها، فترفع هذا الخطاب من مجرد سرد إلى إيحاء، مانحةً إياه بُعدًا جماليًا يُثري تجربة القراءة. ويكشف التفاعل بين العناصر السردية والفكرية، واستخدام الرمزية والتاريخ عن طبيعة النص الأدبي كمساحة معقدة تتعايش فيها السردية والرؤية والتأمل فالخطاب الفكري لا ينفصل عن البناء الجمالي؛ بل إنه يتشكل به فالسرد ناقص دون أفق دلالي يمنحه عمقًا ومعنى وبالتالي، يصبح النص

(١) حسين خمري، فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية. منشورات الاختلاف، ٢٠٠٢، ص ١٥.

الحديث ممارسة فكرية وجمالية في آن واحد، حيث يتم دمج الأدوات السردية مع آليات التفسير لإنتاج خطاب يوفق بين المتعة الفنية والتأمل المعرفي خلق عالم متسق من الصور الحية ليس فقط تحقيق المظاهر الحية او للتعبير عن الحقائق الموضوعية للعناصر السردية والفكرية داخل النص مما يخلق أيديولوجية تحمل دلالات عميقة.(١)

٣.المبحث الثاني: تجليات الأيديولوجيا في رواية سيرة ليست لهولاكو

تُجسّد رواية "سيرة ليست سيرة هولاغو" ببراعةٍ التداخل بين السرد والأيديولوجيا، حيث يصبح السرد مساحةً لإعادة إنتاج وجهات نظر فكرية واجتماعية وثقافية ففي هذه الرواية، لا يقتصر السرد على سرد الأحداث التاريخية أو الشخصية، بل يسعى إلى الكشف عن التوترات بين الماضي والحاضر، وإبراز الصراعات الاجتماعية والسياسية من خلال شخصيات ومواقف تُجسّد قيماً ومعتقداتٍ مختلفة. وتتجلى الأيديولوجيا في الرواية من خلال استحضار أحداث تاريخية واستخدام شخصيات رمزية حيث ترمز شخصية هولاغو إلى الغزو والدمار وانهيار الحضارة، بينما تعكس الشخصيات الأخرى التصورات المجتمعية للسلطة والنفوذ والمقاومة و يسمح الاستخدام الرمزي للأحداث التاريخية ببناء خطاب فكري يُعيد تفسير الماضي في ضوء الحاضر، ويكشف عن صلة النص بالوعي الجمعي فيُصبح التاريخ بذلك أداةً لفهم التحولات الاجتماعية والسياسية وإعادة إنتاجها في وعي القارئ.(٢) كما تُقدّم الرواية نقدًا اجتماعيًا وسياسيًا من خلال استكشافها للظلم والقمع والصراعات الداخلية و يُعرض الواقع من منظور الشخصيات وتجاربها الفردية، مما يُتيح تحليل البنية الاجتماعية والسياسية دون اللجوء إلى الخطاب المباشر. يُفكّك تعدد الأصوات في الرواية الخطاب السائد ويكشف عن وجهات نظر متنوعة، مُعكسًا الجدلية بين الفكر والسرد، ومُبرزًا البُعد النقدي للعمل الأدبي (مع بداية الحرب..القادة يفكرون بلذة النصر .. والأطفال يفكرون بسماء تهديهم الكرات الملونة بدلا من القنابل ..والنساء يفكرن بالتقشف في الخبز والكحل واحمرالشقاء..والعجائز يفكرن بسرد قصص جديدة للأطفال في الملاجيء ..والرجال يفكرون بوضع مزيد من الأشرطة اللاصقة على زجاج النوافذ والقلب والسراويل البيض....و(أبو خلف)يفكر باستثمار شحة الكاز والتحول الى وزير للنفط بالتهريب ..وام سعيد تفكر بابنتها العانس لان الحرب اذا طالت ستقضم ما تبقى من رجال...)(٣) . يُساهم البناء السردي في ترسيخ الأيديولوجيا من خلال استخدام تقنيات سردية مثل الاسترجاع، والتنبؤ، والتحولات الزمنية ووجهة النظر وهذا يُضفي على

(١) فائق مصطفى، عبد الرضا علي في النقد الادبي الحديث، منطلقات وتطبيقات،دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، ط١، ص١٩ .

(٢) ممدوح محمود حامد. الرواية وأثرها في النقد الأدبي. دار نشر عربية، ٢٠١٢، ص ٨٣

(٣) أحمد جارالله ياسين، سيرة ليست لهولاكو، منشورات نون،٢٠١٧،ص٢٢.

النص مرونةً كبيرةً في العرض المتزامن للأحداث والأفكار علاوةً على ذلك، يلعب كلٌ من اللغة والرمزية دورًا أساسيًا في تحويل التجربة الفردية والجماعية إلى معانٍ متعددة الطبقات حيث تعكس الرموز التحولات الفكرية والاجتماعية، مما يفتح النص أمام تفسيرات متعددة.[١] من خلال هذه الآليات، تُصبح رواية "سيرة ليست سيرة هولاغو" فضاءً لإعادة إنتاج الأفكار ونقد الواقع الاجتماعي والسياسي كما تُقدّم نموذجًا واضحًا للتداخل بين السرد والخطاب الفكري، وتُبيّن أن الرواية ليست مجرد قصة أو وثيقة تاريخية، بل هي ممارسة فكرية وجمالية تُعيد تشكيل الوعي الجمعي وتكشف عن صراعات المجتمع وتوتراته من خلال النص والسرد والرمز.[٢]

١.٣.المطلب الأول: البعد التاريخي وإعادة إنتاج الوعي الجمعي

يمثل البُعد التاريخي للخطاب السردي إحدى أهم آليات إعادة إنتاج الوعي الجمعي حيث لا يُقدِّم التاريخ كسردٍ بسيطٍ للأحداث الماضية، بل كمادةٍ رمزيةٍ يُعاد تشكيلها وفقًا لاحتياجات وتساؤلات الحاضر فالنص الذي يستحضر الماضي لا يكتفي بتقديم توثيقٍ محايد، بل يُعيد تنظيم الأحداث ويُضفي عليها معاني جديدة تتجاوز سياقها الأصلي وهكذا، يصبح التاريخ أداةً لبناء رؤيةٍ فكريةٍ تعكس موقفًا من الهوية والسلطة والذاكرة.

ويُمكّن استحضار اللحظات التاريخية الكبرى النص من التساؤل حول البنية الثقافية التي تُشكّل الوعي الجمعي وتتركز رموز الانهيار والمقاومة والتحول الحضاري في هذه اللحظات، ويصبح الماضي مرآةً يُعاد من خلالها فحص الحاضر وقد أكد موريس هالبواكس أن الذاكرة الجماعية ليست مجرد استذكارٍ للأحداث، بل هي بناءٌ اجتماعيٌّ تتشكل بفعل اهتمامات المجتمع الحالي وهذا يعني أن استخدام التاريخ في نصٍ أدبيٍّ يُعد بمثابة إعادة تشكيلٍ للذاكرة لخدمة رؤيةٍ مُحددة.[٣] وفي هذا السياق، تبرز شخصية هولاكو خان كرمز أيديولوجي يحمل دلالات عميقة في الوعي العربي والإسلامي ويرتبط اسمه بسقوط بغداد عام ١٢٥٨ وانهيار الخلافة العباسية، مما يجعله رمزًا للغزو والدمار والتفكك الحضاري فعندما يستحضر أي سرد أو خطاب فكري هولاكو، فإنه لا يكتفي بسرد الحدث التاريخي، بل يستخدم هذا الرمز أيضًا لتجسيد فكرة العدوان الخارجي، والانقسام الداخلي، أو هشاشة البنية السياسية والقتل المتعمد والحرب والانفكاك والتيه الذي يعانيه الشعب حتى جعل الكاتب الكل لم يمت سوى حمودي بائع الخبز الذي يرمز دلالة على الشعب الفقير الذي نهشت عضامه سلطة حاكمة يترأسها طغاة انتجت شعبا ممزق الاوصال مهمش المعالم لايسوده امان واطمئنان سوى الدخان

(١) نجاة صادق الجشعمي. التجريب وانحرافات السرد في الرواية. دار نشر عربية، ٢٠١٥، ص ٣٥.

(٢) محمد آيت أحمد. اللغة والتعدد الثقافي في الرواية العربية ما بعد الكولونيالية. دار نشر عربية، ٢٠١٨، ص١٧٤.

(٣) عمار بلحسن. الرواية والإيديولوجيا. دار نشر عربية، ٢٠١٠، ص ٦٥.

والخراب (قابيل لم يمت ..هولاكو لم يمت.. هتلر لم يمت ..فرعون لم يمت ..شارون لم يمت ..الحجاج لم يمت ...الخ ...مازالوا يقفون جميعا في طوابير امام مكتب الاستنساخ . .وحده حمودي بائع الخبز المتجول ...مات...وتعطل جهاز الاستنساخ الى الابد)[١]. ففي النص، يتحول هولاكو إلى نموذج يجسد ازدواجية القوة والدمار. يصبح حضوره دلالة على تهديد متجدد أو لحظة محورية في الذاكرة الجماعية ويكتسب الرمز بُعدًا أيديولوجيًا عندما يُستخدم لتفسير الأزمات المعاصرة أو لتبرير مواقف سياسية محددة هنا، لا تقتصر الشخصية التاريخية على عصرها، بل تتجاوز ذلك الإطار لتصبح رمزًا يعبر عن صراع دائم بين قوى داخلية وخارجية، بين الاستقرار والانهيار.[٢]

ويتجلى إسقاط الماضي على الحاضر لاثبات الاحداث والظروف من خلال آلية سردية وفكرية تحوّل الحدث التاريخي إلى إطار لفهم الواقع الراهن ويُرسي النص علاقة تشبيه أو مقارنة بين حقبتين تبدوان مختلفتين، إلا أنهما متشابهتان في بنيتهما الأساسية وهكذا، يصبح الماضي لغة رمزية لتفسير الحاضر .[٣] فلا يعني إسقاط الماضي على الحاضر تطابقًا تامًا بين الحقبتين، بل يعتمد على استحضار عناصر محددة من الأحداث التاريخية وتكثيفها لتكون بمثابة مرآة نقدية للواقع المعاصر فسقوط مدينة، أو خيانة نخبة، أو صراع داخلي، يمكن الاستشهاد به لتفسير أزمة سياسية حديثة أو حالة انقسام اجتماعي وهكذا، يصبح التاريخ أداة لإنتاج خطاب فكري يُعيد تشكيل الوعي الجمعي ويُشكّل إدراك الجماعة لذاتها.

ويشكّل السرد الأدبي مجالًا أساسيًا لنقد الواقع السياسي والاجتماعي فالروايات والقصص القصيرة لا تعكس جوانب الحياة العامة فحسب، بل تعيد بناءها ضمن فضاء تخيلي يكشف تناقضاتها العميقة ويفكك آليات السلطة الكامنة فيها ويمنح السرد الكاتب القدرة على استجواب البنى السياسية والاجتماعية دون اللجوء إلى الخطاب المباشر، وذلك بفضل بناء عالم خيالي تتجسد فيه علاقات القوة والصراعات والهيمنة من خلال الشخصيات والأحداث والمسارات الدرامية (ليت خارطة البلاد كانت دائرية.. لانتهينا من تقسيمها الى شرق وغرب وجنوب وشمال، وكلما ازعجنا الاخرين... تدحرجنا بعيدا عنهم.. لكن خارطة البلاد مستطيلة نوعا ما..)[٤]. علاوة على ذلك، يعتمد السرد النقدي على بناء فضاء رمزي يعكس طبيعة السلطة وأدواتها ففي الرواية، يمكن للمدينة أن تصبح استعارة لبنية نظام سياسي وبيروقراطي مغلق، يتجلى كشبكة معقدة من القوانين والعلاقات التي تقيد الفرد وتحد من حريته هنا، يتوافق السرد مع تحليل آليات الانضباط والمراقبة التي درسها ميشيل فوكو، حيث تتجلى السلطة ليس فقط كقوة قمع مباشرة، بل أيضاً كشبكة تُنتج الخطاب وتحدد ما يُقال ويُفعل. كما أن تعدد

(١) احمد جارالله ياسين، سيرة ليست لهولاكو،ص٣٤,٣٥.

(٢) ناجي عباس مطر. السرد ومكر الأيديولوجيا. مجلة دولية، ٢٠٢٠، ص ٤٠.

(٣) خمائل يوسف صالح، رياض جباري شهيل، التخييل الروائي وخطاب التاريخ، كلية الاداب جامعة بغداد، مجلة اداب المستنصرية العدد١٠٩، ص١٩٣ .

(٤) أحمد جار الله ياسين، سيرة ليست لولاكو،ص٦٤.

الأصوات في النص يضفي على السرد بُعداً ديمقراطياً، مما يسمح بظهور وجهات نظر متضاربة تكشف عن صراع الرؤى داخل المجتمع فقد أبرز ميخائيل باختين مفهوم التعدد الصوتي، موضحًا أن الرواية تُعزز التفاعل بين خطابات مختلفة تتعايش وتتصادم، جاعلةً النص ساحةً للحوار يكشف احتكار الحقيقة من قِبل صوت واحد مهيمن ومن هذا التفاعل تنبثق رؤية نقدية، تكشف هشاشة اليقينيات السياسية والاجتماعية. كما تستخدم الرواية السخرية والتهكم وتقنيات الكشف التدريجي في نقدها للواقع فقد تُقدم الأحداث على مستوى يبدو عاديًا، بينما تُراكم في الوقت نفسه دلائل تُشير إلى فساد البنية أو عبثيتها وقد تستخدم أيضًا استرجاعات تاريخية أو إسقاطات رمزية لتوضيح أن الأزمات الراهنة ليست حوادث معزولة، بل هي استمرار لبنية تاريخية لم تُفكك فتصبح الرواية أداةً لإعادة تفسير الحاضر في ضوء الماضي.(لم أفكر في يوم ما بدخول التاريخ أبدا ..لا من أوسع أبوابه ولا حتى من بالوعته الضيقة، فلم اسع الى كرسي رئاسة.. او منضدة وزارة ..او غزو وحرب وبيانات واوسمة)[١].

ولا يقتصر نقد الواقع السياسي والاجتماعي من خلال هذا النص للواقع المرير فقط ولكن أيضا للكشف عن صوت المهمشين الذي لا يسمعه مجتمع تسوده نفوذ السلطة الطاغية وعبثيتها فالنص يحاول تفكيك أيديولوجية تحمل في طياتها دلالات عميقة في واقع الوعي العراقي بالتحديد .

(١) أحمد جار الله ياسين، سيرة ليست لهولاكو، ص ٥٠

٢.٣.المطلب الثاني: البنية السردية وتحولات الخطاب الفكري

يُعدّ تحليل البنية السردية منهجًا أساسيًا لفهم تحولات الخطاب الفكري داخل النص الأدبي فلا تُطرح الرؤى الأيديولوجية كشعارات مباشرة، بل تتشكل من خلال تنظيم السرد، وتوزيع الأصوات، وموقع الراوي، وإدارة الزمن، وبناء الفضاء السردي فالبنية ليست إطارًا رسميًا محايدًا، بل هي وسيلة لرؤية فكرية تُحدد إدراك العالم داخل النص، وتُرشد القارئ نحو تفسير مُحدد. وتتجلى تحولات الخطاب الفكري عندما ينتقل النص من منظور أحادي مغلق إلى منظور تعددي يسمح بمقارنة وجهات نظر مُتنوعة ويختلف اختيار الراوي العليم دلاليًا عن استخدام ضمير المتكلم، إذ تُؤدي كل تقنية إلى علاقة مُختلفة بالحقيقة والسلطة المعرفية داخل النص فقد أكد جيرار جينيت على أهمية التركيز والزمن السردي في بناء المعنى، موضحًا أن ترتيب الأحداث ووجهة النظر يُسهمان في تشكيل تصورٍ مُحدد للواقع، وأن إتقان تقنيات الاسترجاع والتنبؤ يُغير طبيعة الفهم ويُعيد توزيع مركز الثقل الدلالي.[٢] علاوة على ذلك، يُمثل التعدد الصوتي أسلوبًا أساسيًا لإعادة صياغة الخطاب الفكري داخل الرواية، إذ يسمح بتداخل الخطابات الاجتماعية والثقافية المختلفة دون أن يهيمن أي منها تمامًا وقد جادل ميخائيل باختين بأن الرواية فضاء حواري تتصادم فيه الرؤى، مما يجعل الحقيقة نسبية

(٢) عبد الرحمن الخطيب. النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق. دار الفكر، ٢٠١٥، ص ٢٠

وقابلة للتأويل وهكذا، يُصبح البناء السردي حقلًا يكشف عن البنية الأيديولوجية الكامنة للمجتمع من خلال تمثيل الصراع بين الأصوات التي تُشكله. وتلعب تقنيات المفارقة والسخرية والقطيعة مع الخطية الزمنية دورًا حاسمًا في تفكيك الخطاب السائد حيث تتيح هذه التقنيات إعادة تنظيم علاقات السبب والنتيجة والماضي والحاضر مما يُزعزع اليقينيات الراسخة ويُمهّد الطريق لقراءة نقدية للواقع علاوة على ذلك، يُبرز استخدام تيار الوعي أو المنظور الداخلي التوتر بين الفرد والبنية الاجتماعية جاعلاً التجربة الفردية مرآةً للتحولات الفكرية الأوسع.(لم نرث من هذا الوطن ..سوى خيط طويل جدا ..من النمل ..الذي يحمل دموعنا من حلوى الحياة.. الى سلة مهملات أسمها: المخيمات..)[١] وبالتالي، فإن تحولات الخطاب الفكري داخل النص مرتبطة بتحولات بنيته يعني السرد أن أي تغيير في المنظور، أو البنية الزمنية، أو توزيع الأصوات ويُعيد تشكيل الأفق التأويلي ويكشف عن موقف ضمني تجاه العالم فتصبح تقنيات السرد أدوات لإنتاج المعنى، لا مجرد وسائل للتعبير لذا، تُعد دراسة بنية السرد مدخلاً أساسياً لفهم الرؤية الأيديولوجية التي ينقلها النص، والتي من خلالها يُعيد تشكيل إدراك القارئ للواقع والتاريخ ونفسه. وتقوم جدلية الذات والآخر في النصوص الأدبية على توتر دائم بين الهوية والاختلاف فلا تتشكل الذات بمعزل عن غيرها، بل تُعرّف من خلال علاقتها بالآخر الذي يمثل مرآةً، أو نقيضًا، أو تهديدًا، أو أفقًا للحوار ومن خلال هذا التفاعل، يتبلور البُعد الفكري للنص، لأن تمثيل الآخر يكشف في جوهره، عن إدراك الذات لذاتها ومكانتها في العالم و قد يكون الآخر فردًا، أو جماعة، أو ثقافة، أو سلطة، أو حتى حقبة زمنية أخرى وتُحدد طريقة بناء حضوره الرؤية الأيديولوجية الكامنة وراء العمل"أذ أن الجدلية القائمة بين الذات والأخر هي جدلية بين طرفين احدهما يقف موقف ضعف والأخر موقف قوة".[٢] ويمكن أن يظهر تمثيل الآخر كخصم يُهدد تماسك الهوية، أو كشريك يُثريها، أو كهدف للهيمنة والإقصاء وهنا، يتشابك البناء السردي مع الرؤية الفكرية لأن توزيع الأدوار داخل النص يكشف عن مفهوم ضمني للعلاقة بين المركز والهامش. في دراساته حول تمثيل الآخر فقد أكد تسفيتان تودوروف أن صورة الاختلاف تعكس بنية فكرية وثقافية تحدد حدود الانفتاح والانغلاق وأن السرد يكشف عن مفاهيم عميقة للهوية والسلطة من خلال تمثيل الشعب الهامش والسلطة الحاكمة المركز .(كان اللصوص يضعون النظارات السود على اعينهم ..ويرتدون قفازات سميكة ويتمتعون بذكاء الثعالب، ويستمتعون: بهرولة الليل اليهم...اللصوص تغيروا تماما ..اذهب الى أي برلمان في الشرق وستجدهم بانتظارك ..بلا نظارات ولا قفازات ولا ذكاء او دهاء ..يسرقون منك كل شيء ..بدءا من

(١) أحمد جارالله ياسين، سيرة ليست لهولاكو، ص ٨٥

(٢) رائد حميد مجيد البطاط، جدلية الذات والأخر في شعر سجون العصرين الاموي والعباسي، أطروحة دكتوراة، جامعة البصرة، ٢٠١١، ص٤١

وطنك حتى جوربك المثقوب)[١] علاوة على ذلك، يكتسب جدل الذات والآخر بُعدًا ثقافيًا وسياسيًا عندما يرتبط الآخر بصورة المُستعمِر أو الأجنبي أو المهمش ومن المهم الإشارة إلى أن الخطاب الأدبي قد يُسهم في بناء صورة نمطية للآخر تُبرر أو تُعيد إنتاج الهيمنة، وأن اللغة نفسها قد تُصبح أداة لترسيخ هذا التصور وبالتالي، فإن تحليل حضور الآخر في النص لا ينفصل عن دراسة الإطار الفكري الذي يقوم عليه النص الادبي . ويتضح جليًا أثر اللغة والرموز في ترسيخ البُعد الفكري: فاللغة ليست مجرد وعاء محايد للأفكار، بل هي فضاء تتشكل فيه الرؤية وتُحدد فيه العلاقات بين المفاهيم حيث يُسهم اختيار المفردات والصور والإيقاع في بناء رؤية عالمية محددة، ويُعزز الرمز بدوره المعنى ويُحوّل التجربة الجزئية إلى دلالة شاملة وقد أكد بول ريكور أن الرمز يحمل في طياته ثراءً في المعاني، ويفتح النص أمام مستويات متعددة من التأويل، مانحًا بذلك الخطاب الفكري عمقًا يتجاوز المباشر، ويكشف المضمور عما وراء تلك النصوص من أحلام دفنت وواقع مرير غير قابل للتغير (كلهم سيذهبون الى النوم ..الا العراق ..يبقى حتى مطلع السلام ..يتقلب على فراشه في كتب الجغرافية ..يمينا ويسارا ..من شدة الارق)[٢]

فعندما تُستخدم اللغة إيحائيًا، متجاوزةً مجرد السرد لتشمل التلميح، فإنها تُصبح أداةً لهيكلة الوعي، لأنها لا تُقدم الفكرة في صورتها المجردة، بل تُجسدها في صورة حسية أو مشهد رمزي ويمكن للرموز الرئيسية،كالطريق والبحروالمطر والجدار، أن تُصبح دلالات على تمني الحرية أو الانقطاع أو العزلة واليأس من واقع مرير لا ولم ولن يتغير، تبعًا للسياق الذي وُضعت فيه

(الساسة لا يفهمون لغة الغيم
لذلك...لا تنتظر منهم المطر
الساسة لا يفهمون لغة الشمس
لذلك يضعون نظارات شمسية على عيونهم
الساسة لا يتحملون عطر الورد
لذلك يعلنون حال الطوارئ عند قدوم الربيع
اكثر فصل يعشقه الساسة
هو الخريف
لأنهم
يستمتعون برؤية الشعب
يتساقط كأوراق الشجر
جثة
جثة....[٣]

ففي هذا النص السردي تجاوز الكاتب من فضح فضاء الساسة ولغتهم بل اضفى بعدا ثقافيا اعمق كشف عن هيمنتهم وجعل الشعب يخضع لسيطرتهم ويستسلم لبطشهم حتى تساقط الشعب جثة جثة،

(١)احمد جار الله ياسين، سيرة ليست لهولاكو،٨٦,٨٧ .
(٢)احمد جار الله ياسين، سيرة ليست لهولاكو،ص٧٥
(٣)المصدر السابق، ص٦٤,٦٥,٦٦ .

فالساسة لغتم العنف والبطش لذا حمل النص بعد أيديولوجي عميق جسد واقع العراق المرير .

٤.الخاتمة

تُبيّن هذه الدراسة أن النص الأدبي يتشكل من خلال تفاعل معقد بين السرد والفكر فهو ليس مجرد سرد للأحداث، بل فضاءٌ تتبلور فيه المعاني والأفكار، مُشكّلةً رؤيةً للعالم و تتجلى الأيديولوجيا في النص من خلال تطور الشخصيات، وتنظيم الأحداث، وتقنيات السرد المتنوعة، واستحضار التاريخ، واستخدام الرموز وهذا ما يسمح للنص بإعادة إنتاج الوعي الفردي والجماعي، وإعادة تفسير الواقع من منظور نقدي وتفسيري.

ويربط البُعد التاريخي للنص الماضي بالحاضر، ويُعيد تشكيل الذاكرة الجماعية، بينما تكشف العلاقة بين الذات والآخر عن طبيعة الصراعات الفكرية والاجتماعية التي تُشكّل رؤية المؤلف للعالم ويبقى التوتر بين الهوية والاختلاف عاملاً أساسياً في بناء هذه الرؤية الفكرية حيث تُسهم اللغة والرمزية في تحويل الأفكار إلى صور وعبارات تتفاعل مع القارئ على مستويات متعددة، مما يُضفي على النص عمقاً فكرياً وجمالياً.

علاوة على ذلك، يؤثر البناء السردي وتقنيات سرد القصص، كالتعدد الصوتي والتغيرات الزمنية واختيار وجهة النظر، تأثيرًا مباشرًا في إنتاج الخطاب الفكري داخل النص، محولةً الأحداث إلى أدوات للمعنى تتجاوز الحقائق المباشرة وهكذا، يصبح النص الأدبي فضاءً للتأمل في الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وممارسة نقدية تُمكّن القارئ من فهم الروابط بين السلطة والمعنى، وتوسيع وعيه بالهوية والآخرية والمعنى الجماعي. كشفت الدراسة عن ابعاد أيديولوجية مهيمنة جسدت واقع العراق المرير الاجتماعي والثقافي والسياسي على وجه الخصوص. في نهاية المطاف، يتضح أن الأدب ليس مجرد انعكاس للواقع، بل أداة فعّالة لإعادة إنتاجه وتفسيره حيث إنه فضاء يسمح بدمج المتعة الجمالية مع الفكر النقدي ويوفر للقارئ الوسائل لاستكشاف العلاقات بين الماضي والحاضر والذات والآخر، والفكر والسرد، في عملية مستمرة لبناء الوعي وتحديد المعنى.

قائمة المصادر

١. أبو هيف، عبد الله. النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد. اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.

٢. د. نجاة صادق الجشعمي. التجريب وانحرافات السرد في الرواية، ٢٠١٥.

٣. محمد آيت أحمد. اللغة والتعدد الثقافي في الرواية العربية ما بعد الكولونيالية. دار رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٢٥.

٤.احمد جار الله ياسين، سيرة ليست لهولاكو، نصوص شعرية، منشورات نون، العراق، أربيل،٢٠١٧ .

٥.جورج ماي، السيرة الذاتية، تعريب ممد القاضي، عبدالله صولة، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧، ص١٠٢ .

٦. عمار بلحسن. الرواية والإيديولوجيا. نشر وتوزيع الملتقى مراكش ط٢، ٢٠١٠.

٧. ناجي عباس مطر. السرد ومكر الأيديولوجيا، مجلة دولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد١٥بيروت، لبنان، ٢٠٢٠.

٨. عبد الرحمن الخطيب. النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق. دار الفكر، ٢٠١٥.

٩. فاطمة الزهراء بن موسى. الرواية العربية والمجتمع. دار النهضة العربية، ٢٠١٣.

١٠. صلاح فضل. أساليب السرد في الرواية العربية. الهيئة المصرية لقصور الثقافة، ٢٠١٨.

١١ رائد حميد مجيد البطاط، جدلية الذات والأخر في شعر سجون العصرين الاموي والعباسي، أطروحة دكتورا، جامعة البصرة، ٢٠١١.

١٢. غادة حسن زكريا عشبة. تقنيات السرد الروائي وخلق الأيديولوجيا. جامعة الازهر حولية كلية اللغة العربية بجرحا مجلة كلية اللغة العربية، ٢٠٢١.

١٣. ناصر اليديم. النقد الأدبي الحديث: التنظير والممارسة. منشورات نقد عربية، ٢٠١٧.

١٤ نادية هناوي. النقد الأدبي: رؤية نظرية واشتغال معرفي. منشورات أكاديمية، ٢٠١٩.

١٥. عنود عبد الجبار كريدي العنزي. السرد في الأدب العربي الحديث. جامعة الإسكندرية، ٢٠٢٣المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات،٢٠اكتوبر٢٠٢٤.

١٦. كاظم خلف العلي. دليل النظرية الأدبية والنقد الأدبي. جامعة البصرة، دار قناديل للنشر والتوزيع ٢٠٢٥.

١٧. سعيد يقطين. السرد في الرواية العربية. المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢.

١٨. سعيد يقطين. الرواية والتراث السردي. المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢.

١٩. سعيد يقطين. قال الراوي: بنية الخطاب السردي في السيرة الشعبية. منشورات عربية، ١٩٩٧.

٢٠ .اسماعيل عمر حميد، المثقف في فكر أنطونيو غرامشي، الجامعة العراقية، مجلة الجامعة العراقية،العدد٦٦ج٣.

٢١. حسين خمري فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف. ٢٠٠٢.

٢٢ خمائل يوسف صالح، رياض جباري شهيل، التخييل الروائي وخطاب التاريخ، كلية الأداب جامعة بغداد، مجلة اداب المستنصرية العدد١٠٩ .

٢٣. فائق مصطفى، عبد الرضا علي في النقد الادبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، ط١ .

٢٤. ممدوح محمود حامد. الرواية وأثرها في النقد الأدبي. دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

٢٥ .هشام قاضي، صباح قلامين،قراءة ابستيمولوجية لجدلية العلم والايديولوجيا في العلوم الإنسانية، الجزائر، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية.